مجلة العلوم الإنسانية
SUST Journal of Humanities
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

بنية الزمن في رواية سيدات القمر لجوخة الحارثية

د. زاهر بن مرهون بن خصيف الداودي[1] و خديجة بنت علي بن سعيد الغافرية[2]

1..جامعة السلطان قابوس – كلية الآداب والعلوم الاجتماعية قسم اللغة العربيةzaher@squ.edu.om

2. وزارة التربية والتعليمaldawoodizaher@hotmail.com

الستخلص

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن طريقة بناء الزمن في رواية سيدات القمر، كونها رواية استطاعت أن تبرز وجودها في الساحة الخليجية في العقدين الأخيرين، ولأنها اتسمت بالجرأة في ملامسة المسكوت عنه، واستطاعت أن تقرأ المجتمع، وتكشف المستور فيه. وقد اعتمدت هذه الدراسة على جهود الباحث جيرار جينيت حول الترتيب والمدة، على وجه الخصوص؛ كونهما محوران رئيسان لرصد بنية هذا الزمن، وإجلاء خصوصياته؛ ذلك لأن الزمن أحد العناصر الرئيسة المكونة للخطاب، الروائي، بل هو بؤرته؛ فالأحداث تسير في زمن والشخصيات تتحرك في زمن، والفعل يقع في زمن، والحرف يقرأ ويكتب في زمن، ولا نص دون زمن، وقد خرجت الدراسة بنتيجة مهمة جدا، وهي أن الكاتبة استطاعت بفعل مقاربة الزمن أن تعيدنا إلى الأحداث الماضية، وقد ربطت هذه الأحداث، وهذه الذكريات بالحالة النفسية والشعورية.

الكلمات المفاتيح: الزمن، رواية سيدات القمر.

Abstract

This study seeks to reveal the method of building time in the novel Moon Women, a novel that has been able to highlight its presence in the Gulf arena in the last two decades, and because it was characterized by boldness in contact with the silent, and was able to read the community, and reveal Almstor. This study is based on the efforts of researcher Gerard Genet on arrangement and duration, in particular, as they are two main axes to monitor the structure of this time, and the evacuation of its peculiarities. This is because time is one of the main elements of speech, the novelist, but its focus; Time, and the verb falls in time, and the character reads and writes in time, and no text without time, The study came out with a very important result, namely that the writer was able by the approach of time to bring us back to past events, and these events were linked, and these memories of the state of psychological and sensational.

Keywords: Time، Moon Women's Story.

المقدمة

يعد الزمن أحد المباحث الرئيسة المكونة للخطاب الروائي؛ فالنص الروائي لا يمكن أن يتشكل إلا عندما ترتبط عناصره بعامل الزمن الذي يشكل البنية الخطية له، فتجعل اللاحق يرتبط بالسابق، فالزمن في الرواية يخلق الاستمرارية السردية، ذلك أن كل خطاب روائي يرتبط بالزمن؛ لأنه يشمل الحياة التي تعيشها الشخوص داخل العمل الروائي، ويتنوع ويتشكل من الزمن الطبيعي، والزمن التاريخي، والزمن الحكائي، وزمن الكتابة؛ لذا فقد حاولت هذه الدراسة تتبع جماليات الزمن في رواية سيدات القمر لجوخة الحارثية؛ وذلك لأن هذه الرواية تستعيد الماضي البعيد، وترسم تطور الحياة في الصحراء العمانية من صيد اللؤلؤ إلى ظهور النفط، وقد ركزت هذه الدراسة على تتبع طريقة جينيت في تحليل رواية "سيدات القمر" بواسطة محورين هما الترتيب الزمني والمدة، ولن نتعرض لدراسة التواتر ؛ لأنه أمر مشهور ولا يتسع المقام للإطالة، إذ سندرس العلاقات بين زمن القصة وزمن الحكاية، تبعاً لتحديدات أساسية هي: الصلات بين الترتيب الزمني لتتابع الأحداث في القصة والترتيب الزمني لتنظيمها في الحكاية، والصلات بين المدة المتغيرة لهذه الأحداث، أو المقاطع القصصية والمدة لروايتها في الحكاية(في الواقع).

مفهوم الزمن في المعاجم العربية

تكاد المعاجم العربية تتفق على أن الزمن والزمان فترة من الوقت تتراوح بين الطول والقصر، ويمكن تقسيمها إلى فترات تتناهى إلى العدم، مع إثبات صفة الاستمرارية إلى المستقبل دون الارتداد إلى الماضي؛ ففي حين اكتفى تعريف الفراهيدي بالإشارة إلى الاشتقاقات التي طالت كلمة الزمن، والتي تداولها العرب في ذلك العهد، أشار صاحب الصحاح إلى أن" الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، ويجمع على أزمان وأزمنة وأزمن، ولقيته ذاك الزمين تريد بذلك تراخي الوقت، كما يقال لقيته ذات العويم أي بين الأعوام، الكسائي: عاملته مزامنة من الزمن، كما يقال مشاهرة من الشهر" (الجوهري، ب. ت مادة (ز. م. ن).

ويقول أحمد بن فارس في مقاييس اللغة: "الزاء والميم والنون أصل واحد يدل على وقت من الوقت من ذلك الزمان، وهو الحين قليله وكثيره، يقال: زمان، وزمن، والجمع أزمان وأزمنة" (ابن فارس، 1979م، ج3، ص22).

وقد ميز صاحب كتاب لسان العرب بين كلمتي الزمان والزمن؛ فلم يتحدد الزمان عنده بمدة معينة، بل تراوح بين الطول والقصر، أما الزمن فهو يدل على مدة محددة تساوي فصلا من فصول السنة، يقول ابن منظور: " الزمان اسم لقليل من الوقت أو كثير ... الزمان زمن الرطب والفاكهة، وزمان الحر والبرد، ويكون الزمن شهرين إلى ستة أشهر، والزمن يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه، وأزمن الشيء طال عليه الزمان وأزمن بالمكان أقام به زمانا" (ابن منظور، مادة (ز. م. ن).

وركز الزبيدي في تعريفه على صفة الحركة والتجدد المستمر للزمان الذي يتجه نحو الأمام، ولا يقبل الارتداد إلى الوراء أبدا، يقول: " الزمان مدة قابلة للقسمة يطلق على القليل والكثير، وعند الحكماء مقدار حركة الفلك الأطلس، وعند المتكلمين متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس، فإن طلوعها معلوم، ومجيئه موهوم، فإذا قرن الموهوم بالمعلوم زال الإبهام" (الزبيدي، 1421هـ/2001م، مادة (ز. م. ن).

ويرى صاحب كتاب المصباح المنير أن الزمان فترة قابلة للقسمة، فقد ورد فيه: " الزمان مدة قابلة للقسمة، ولهذا يطلق على الوقت القليل والكثير، والجمع أزمنة، والزمن مقصور منه، والجمع أزمان، مثل: سبب وأسباب، وقد يجمع على أزمن، والسنة أربعة أزمنة وهي الفصول أيضا، فالأول الربيع، وهو عند الناس الخريف سمته العرب ربيعا لأن أول المطر يكون فيه، وبه ينبت الربيع، وسماه الناس خريفا؛ لأن الثمار تخترف فيه أي تقطع، ودخوله عند حلول الشمس رأس الميزان، والثاني الشتاء ودخوله عند حلول الشمس رأس الجدي، والثالث الصيف ودخوله عند حلول الشمس رأس الحمل، وهو عند الناس الربيع، والرابع

القيظ وهو عند الناس الصيف ودخوله عند حلول الشمس رأس السرطان، وزمن الشخص زمنا وزمانه فهو زمن من باب تعب، وهو مرض يدوم زمانا طويلا، والقوم زمنى مثل: مرضى وأزمنه الله فهو مزمن" (الفيومي، ب.ت، مادة (ز.م. ن).

الزمن عند العلماء والفلاسفة

ينظر العلم إلى الزمن على أنه موضوع من جهات ثلاثة: الدينامية الحرة، والجانب النفسي، والجانب الكوني، فقد قال "ستيفن هوكنغ": " إن في لغة العلم ثلاثة سهام مختلفة للزمن في الأقل: الأول سهم الديناميكية الحرارية للزمن، وهو اتجاه الزمن الذي تزداد فيه الفوضى أو الأنتروبيا، ثم السهم السيكولوجي للزمن وهو يمثل الاتجاه الذي نشعر من خلاله بمرور الزمن، وهو أيضا الاتجاه الذي نتذكر منه الماضي وليس المستقبل، وأخيرا السهم الكوني للزمن وهو يمثل اتجاه الزمن الذي يتوسع فيه الكون بدلا من أن يتقلص" (هوكنغ، 1990،ص219).

وقد نال الجانب الدينامي الحراري الاهتمام الأكبر من الدرس الفيزيائي الكمي والنسبي؛ فقد طمحت الفيزياء إلى جعل الزمن مقاسا، فيما هدفت الفلسفة إلى جعله معاشا، فروض العلم الزمن بأدواته وآلته، وطوعه بأجهزة القياس، وهي المعضلة التي اعترضت الإغريقيين لما خامرهم السؤال حول قابليته للقسمة إلى ما لانهاية أو عدم قابليته (معزوز، 2008، ص15)

فالزمن عند نيوتن مطلق، له بعد واحد، مستمر غير قابل للتقسيم، يتسم بالانسياب الثابت، فهو "موجود بنفسه" (صليبا، 1982، ص637) ؛ فالزمان كما يعتقده نيوتن " دفق مطلق قائم بذاته، مستقل بطبيعته، عام شامل، غير مرتبط بالحركة، بالإضافة إلى حقيقته التي لا يشك فيها"(الصديقي، 1995م، ص26).

وعد علماء النسبية الزمان والمكان كيانا واحدا، فأطلقوا عليه مصطلح " المكان الزماني" وسموا الزمان البعد الرابع للأشياء، وتتحدد نسبية الزمن بالتغير الذي يطرأ عليه بمجرد الانتقال من مكان إلى مكان آخر مختلف تماما، وبذلك تتأكد تبعية الزمان للمكان (توفيق، 1982، ص68).

وقد كان للفلاسفة والمفكرين منذ العهد الإغريقي القديم محاولات في فهم الزمن، ومنهم هيراقليطس الذي يرى" أن اللوغس – وهو عند هيراقليطس الزمن الذي يعد نظاما خفيا، يضبط إيقاع الحياة في سيرورتها وتحولها– بمثابة النظام في سيرورة التحول، ولا مجال للتعرف عليه إلا بالحكمة، وهو المشرع لكل الأمور المشتركة، وهو الذي يؤمن وحدة المتضادات، فالكل يصير واحدا، والواحد يصير كلا" (نصري، 2002، ص22).

والزمن عند أرسطو نتيجة عقلية، يتوصل إليها من تأويل الحركة الناتجة عن فعل أيا كان نوعه ماضيا أم حاضرا، فالفعل عنده " صوت مركب له دلالته ويدل على الزمن، وكما هو الحال في الاسم، فإن أي جزء منه لا معنى له في ذاته، فكلمة " رجل" أو " أبيض" لا تتضمن دلالة " متى" الزمنية، أما كلمة " يمشي" أو "مشى" فتدل على معنى، بالإضافة إلى زمن سواء كان مضارعا أو ماضيا" (بدوي، 1971، ص23).

وللزمن في الفلسفة الإسلامية جانبان: جانب موضوعي، عماده الحركة، وجانب ذاتي، عماده الشعور، ويركز ابن سينا على تلازم الزمان والحركة، وذلك حين يقول: " الزمان متعلق بالحركة وهو عدد بحساب المتقدم والمتأخر، فلا وجود للزمان بدون الحركة، وهو كالحركة غير محدث بزمان، بحيث لا يمكن الإشارة إلى ما قبل الزمان، وكذلك الحركة غير محدثة حدوثا زمنيا، بل حدوثا إبداعيا" (الحر، 1991، ص36) ، أما ابن رشد فإنه لم يقتصر على ما يربط الزمان بالطبيعيات من حركة وتغير ومكان، ولم يقتصر عند حد الزمان اليومي، بل اهتم اهتماما خاصا بالزمن النفسي (قسوم، 1985، ص280).

أما المتصوفة فلهم زمنهم الخاص وهو اللازمن، فيخرجون من العالم المادي إلى عالم روحي لا يعترف بالمقاييس الزمنية الفلكية والطبيعية، " لا نقول إن الزمن يتقلص أو يتمدد، يتحرك أو يقف ساكنا؛ لأن كل هذا يعني أن الزمن ما زال يفعل، فالزمن خارج عن نطاق معالجة الموضوع، فلا هو غالب ولا هو مغلوب، إنه غير موجود فحسب" (مندولا، 1997، ص163).

وقد حول أوغسطين فهم الزمان المتوارث من الفلسفة القديمة، وهو فهم يربط الزمان بالكون، إلى بعد ذاتي يتعلق بالوعي الداخلي للزمان، فالزمن عنده زمن ذاتي منشطر بين ثلاثة مظاهر للحاضر، هي التوقع وهو عنده حاضر المستقبل، والتذكر وهو حاضر الماضي، والانتباه وهو حاضر الحاضر، وتظهر أهمية هذا التصور في علاقته بالزمن الإبداعي عموما، والسردي خصوصا، فيما يسمى بالزمن النفسي بحركتي الاسترجاع والاستباق (كونزمان، وآخرون، 2007، ص 69-71).

ويرى "كانط" أنه لا يمكننا استخراج مفهوم للزمان من القوى الحاسة، بل هو صورة الحس الباطن؛ فتصوراتنا تجد تراتيبها داخله، ولم يقصر كانط حديثه عن الزمان فقط، بل قرنه بالمكان " لا أستطيع أن أتصور شيئا دون أن أتصور بعدا مكانيا، كما لا يمكن أن أتصور المكان جزءا أو أن أتصوره غير موجود"(كونزمان، وآخرون، 2007، ص 69-71).

وينحصر مفهوم الزمن عند هنري برغسون في الماضي دون سواه، وهو متغير باستمرار بفعل تضخمه المستمر كلما تقدم إلى الأمام، "فالحياة سيرورة خلاقة دائمة يحملها دفع حيوي، ينفتح باستمرار ويتمايز عبر أشكال جديدة" كونزمان، وآخرون، 2007، ص 69-71).

ويرتبط " الآن" الحاضر عند إدموند هوسيرل، بسلسلة من الاسترجاعات بالماضي، الذي كان ذات مرة "الآن" الحاضر، والذاكرة هي التي تسمح بتذكر أحداث ماضية، وأن تستحضرها أما ارتباطه بالمستقبل الذي سيصير حاضرا بفعل سيرورة الزمن، فمرده إلى فعل عقلي ونفسي هو الانتظار، يقول: " ما هو أولي هنا هو وعي الحاضر، باعتباره الآن الحاضر للإحساس، ذلك أن وعي الحاضر هذا هو مكان كل إحضار للأحداث الماضية والمستقبلية، إن الحاضر ليس منتظما بل هو يمثل امتدادا، فما كان منه يصار إلى حفظه في الحاضر، وما يحصل في الحال منه فقد كان منتظرا" (صليبا، 1982، ج1، ص638).

وينحصر الزمان الوجودي في " الزمان الذاتي أو الزمان الوجداني المصبوغ بالانفعال كزمان الانتظار، أو زمان الأمل، هذا الزمان ليس كما، وإنما هو كيف، لا يقبل القياس على خلاف الزمان الفاعل الذي يطلق على التأثير في الأشياء، فهو موضوعي وكمي وقابل للقياس"(صليبا، 1982، ج1، ص638)؛ فقد حصر هيدجر الزمن في الحاضر؛ لأن الماضي قد مضى واندثر، والمستقبل زمن وهمي(القصراوي، 2004، ص21)، بينما يرى دولوز أن الزمن وعي للذات، فهو زمن نفسي " الزمان في الواقع وعي للذات، إن كل السؤال يكمن في معرفة بأي شروط يصبح الزمان وعيا للذات" (دولوز، 1993، ص147)، بينما ينظر باشلار إلى الزمن نظرة براغماتية، بحسن التخطيط والتفكير في المستقبل، فهو يرى أنه " حتى ندرك جيدا الزمان المنفتح أمامنا يلزمنا ان نعيش وعود المستقبل بالفكر، ولا بد من إحلال مخطط الحياة محل الشعور الغامض جدا، والضئيل بما هو معاش، فالمرء يشعر بالوقت بقدر عدد المشاريع" (باشلار، 1992، ص64).

وقد فكك بول ريكور الثنائيات الزمنية في الفكر الفلسفي الغربي ببديله المتمثل في السرد، فقد وضح ريكور " أنه طوال التحليلات التي قدمها، ظل هناك دائما شق فاصل، أو هوة مفتوحة بين نوعين من الزمان الظاهراتي في مقابل العادي، والنفسي في مقابل الكوني، والموضوعي في مقابل الخفي، وأن هذه الهوة لا يردمها سوى السرد الذي يقدم نوعا ثالثا من الزمان، يمتد كجسر واصل بين زمانين آخرين وذلك هو الزمان المروي"(ريكور، 2006، ص4).

ولعل الباحث الفرنسي جيرار جينيت من أبرز المنظرين البنيويين الذين اتسموا بالدقة في أدواتهم الإجرائية؛ فقد أفاد بدوره من المدرسة الشكلانية. ويتضح عمله في كتابه (FiguresIII) (خطاب الحكاية)؛ فقد فرق بين زمن القصة وزمن الحكاية بقوله:"

الحكاية مقطوعة زمنية مرتين... فهناك زمن الشيء المحكي عنه، وزمن الحكاية(زمن المدلول وزمن الدال) ". وقد عمل جينيت على مقاربة زمن الحكاية(الخطاب) من المحاور الثلاثة التالية: الترتيب الزمني والمدة، والتواتر، وقد استفاد النقد العربي من الدراسة الغربية، وما أنجزه جينيت على وجه الخصوص، إذ نهج نهجه وسلك طريقته كثير من النقاد العرب؛ لأنه كما يقول سيد إبراهيم:" لا يحمل مجرد جهد عبثي ممتد في الفراغ المطلق بلا معنى، بل يصب في آخر الأمر في نتائج تلقي ضوءاً كاشفاً على العمل الذي يتعرض طوال الوقت لتحليله"؛ لذلك فأي قص روائي يملك زمنين هما زمن القصة ذاتها، بوصفها تسلسلاً يبين أحداثها، وزمن خطابها، ويُعنى بترتيب تلك الحوادث وفق نمط معين (الطعان، 1994، ص445، جينيت، ، 2003، ص45)، وقد كان الجهاز المصطلحي الذي صاغه من أغنى وأوضح الأجهزة المصطلحية في دراسة البنية الزمنية للخطاب السردي، فقد اعتنى بدراسة الترتيب الزمني لأي حكاية، فعالجه في المفارقات الزمنية، فعنى به "مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة، وإن كشف هذه المفارقات الزمنية السردية وقياسها يسلمان ضمنيا بوجود نوع من درجة الصفر التي قد تكون حالة توافق زمني بين الحكاية والقصة"(جينيت، 2003، ص47) " ويمكن للمفارقة الزمنية أن تذهب في الماضي أو في المستقبل، بعيدا عن اللحظة الحاضرة" (جينيت، خطاب الحكاية، 2003، ص59)، ويسمي هذه المسافة الزمنية مدى المفارقة الزمنية، " ويمكن للمفارقة الزمنية أن تشمل مدة قصصية طويلة كثيرا أو قليلا، وهذا ما نسميه سعتها"(جينيت، 2003، ص59).

ويمثل المدى المسافة الزمنية الناتجة عن عمل الذاكرة المسترجعة، أو التوقع المستشرف، وهذه المسافة تحدد انطلاقا من اللحظة الزمنية التي يتوقف عندها الحدث المسرود في الزمن الحاضر، وصولا عند لحظة بداية سرد الحدث المسترجع أو المستبق، أما السعة فهي الاستغراق الزمني الذي تشغله الحادثة المسترجعة، أو الحادثة المستبقة ((جينيت، 2003، ص60)، وللاسترجاع مجموعة من الوظائف، أهمها الوظيفة التكميلية، وهي وظيفة تسد فجوة سابقة في الحكاية، ووظيفة تكرارية، وهي وظيفة تعود بالحكاية على أعقابها لتوحي بمقارنة الحاضر بالماضي، ووظيفة تذكيرية حينما يعيد السارد سرد حدث ماض كان قد سرده سابقا، نظرا لأهميته في سياق الحكاية. (جينيت،2003 ، ص62 – ص81).

رواية سيدات القمر

هي الرواية الثانية للكاتبة العمانية جوخة الحارثية، وهي رواية من الروايات الخليجية التي استطاعت أن تبرز وجودها في الساحة الخليجية في العقدين الأخيرين، فقد اتسمت الرواية بالجرأة في ملامسة المسكوت عنه، واعتمدت تقنيات السرد العالمية مثل، الارتداد والاستباق، وكسر خط الزمن، وشأنها شأن الرواية الخليجية بشكل عام قرأت المجتمع، وكشفت المستور فيه، ودخلت في مناطق ما كان يمكن الحديث عنها بغير الرواية؛ إذ الرواية وسيلة من وسائل إظهار التمرد. ويكاد الأدب الروائي الخليجي تحديداً النافذة التي يستطيع من خلالها القارئ إشباع فضوله عن بلدان الخليج النفطية في ظل غياب الدراسات السوسيولوجية. ولا يمكن التعويل على انطباعات يكتبها مستشرقون عن جمال الطبيعة الصحراوية، وعادات أهلها، وتلك الدراسات التي تتحدث عن فكرة التحديث التي طالت الاقتصاد النفطي والعمراني، فالرواية تستعيد الماضي البعيد، وكيف تطورت الحياة في الصحراء العمانية من صيد اللؤلؤ إلى ظهور النفط، إلى التجارة بالرق، وكيف كان التجار يخطفون الشبان من بيوتهم ويبيعونهم عبيداً للأسر الغنية والأجانب.

اللغة في "سيدات القمر" هي لغة السرد البسيط المكثف؛ لأن بها شخصيات كثيرة، وتستمر لأجيال؛ فكانت اللغة المستخدمة فيها هي اللغة التي تناسبها، وتمتاز الرواية بتصوير بديع للأجواء العمانية في أكثر من عصر، وزمن، تاريخياً وعصرياً، وتدور حول ثيمات عمانية شديدة الخصوصية ، تضرب في عمق التاريخ العماني الذي قد يمتد لأكثر من مائة عام، بين

عائلات وأفراد تتفاوت همومهم الشخصية والجماعية، و انتماءاتهم ومكانتهم في المجتمع، وخرجت الكاتبة فيها على التقسيم التقليدي للرواية إلى فصول، إذ لم تستخدم الترقيم أو العنونة بديلا، بل جاءت بعض الفصول في مساحة لا تتجاوز الصفحة الواحدة أو الصفحتين، مستخدمة التحفيز الواقعي عبر استخدام الوقائع التاريخية المعروفة والقيم الواقعية الحديثة، وتقديم الأماكن بأسمائها المعروفة بغية إيهام القارئ بواقعية المتخيل الروائي.

تتكون الرواية من فصول قصيرة سبع وخمسين فصلاً (57)، يتناوب السرد فيها بين ضمير الغائب، وضمير المتكلم على لسان عبدالله بن التاجر سليمان(تاجر الرقيق)، وتلامس الرواية مسار المجتمع على امتداد ما يقارب مائة سنة انطلاقاً من حكايات لشخصيات تنتمي إلى أسرتين تعيشان في قرية "العوافي"، وترصد التحولات السريعة للمجتمع الحديث، وتهتم بالتغييرات التي طرأت على المجتمع العماني سواء المادية أو المعنوية أو المتعلقة بالأفراد، وتقدم نقداً للمجتمع في تصرفاته وأفعاله مثل:(–نبذ العبودية والرق– والأساطير المرتبطة بالحياة والموت – والاستعانة بالكهنة والعرافين).

تتعرج في طرح الزمن، فتقدم الشخصية شابة، ما تلبث أن تظهر أكبر سناً، ثم تعود الرواية في كل مرة بتفصيل جديد لنفس الشخصيات؛ لذلك قد يساورك اعتقاد بأنها مفككة . وهذا ما نحاول دراسته، وهو مدى انسجام هذه الرواية في بنيتها العميقة؛ فالروائي قد يملك المقدمات التي تمكنه من إقامة توازيات وتشابهات بين الشخصيات والمواقف والأحداث بحيث تكون الرواية متماسكة حتى لو كانت حبكاتها غير متسلسلة تاريخيا، ولا ترتبط فيما بينها بعلاقات سببية. يتم السرد فيها من خلال عملية(استباق /ارتداد) أي البدء بالحديث عن حاضر الشخصية وما آلت إليه قبل الارتداد إلى ماضيها لاستعادة التفاصيل التي أدت إلى تشكل مسار حياتها.

زمن القصة

أدرك الروائيون أهمية الزمن في الأعمال الروائية، إذ يعد من أهم التقنيات التي تؤثر في البنية العامة للرواية، فبه تتحدد سماتها الأساسية، ولأن أي عمل سردي لا يستقر على حال، ولا تقوم له قائمة في ظل غياب هذا العنصر؛ فهو بمثابة الروح للجسد؛ ذلك أن الزمن في الرواية العربية الحديثة لم يعد قائماً على التسلسل المنطقي والتعاقب، وإنما تداخلت أبعاده وتشابكت (القصراوي، 2004، ص71)؛ "فالرواية الحديثة لم تعد تركز على تصوير الشخوص أو الأحداث بقدر ما تهتم بإبراز المتغيرات النفسية التي تحدث داخل الإنسان نتيجة إحساسه القلق بإيقاع الزمان"(إبراهيم، 1994، ص 31).

فيمكن أن تختلط الأزمنة في الرواية العربية الحديثة؛ نتيجة لاستخدامهم التقنيات الحديثة، التي تعتمد على تداخل الأبعاد، إذ أصبح للحلم، ولمنطقة اللاوعي وللهواجس الداخلية دورها الكبير؛ فلا يستطيع أي فرد أن ينكر أن هناك علاقة بين الزمن الروائي والزمن الواقعي؛ فالروائي لا يُطلب منه أن يجسد شكل الزمن الواقعي وصيرورته، وإنما مهمته تتجلى في خلق الإحساس بالمدة الزمنية الروائية والإيهام التام بأن ما يعرضه هو الواقع الحقيقي، فقد يختصر في جملة واحدة أحداثاً تستغرق مدة طويلة من الزمن الواقعي، وربما تمثل دقائق في الفن الروائي حياة شخصية لمدة سنوات في الزمن الواقعي"(القصراوي ، 2004، ص40، ويُنظر: العيد، 1983، ص227).

إن الروائي يدرك أنه لا يقصد استعادة الحقيقة كما هي في الواقع لاستحالة ذلك، وتعد التنقلات الزمنية في النص الروائي من أهم التقنيات التي يتحكم من خلالها الكاتب بإيهام القارئ بالحقيقة.

"والفارق الأساسي في صورة الزمن في الرواية الحديثة وصورته في الرواية التقليدية يكمن في التشكيل، فلم تعد الحبكة الروائية قائمة على السببية المغلقة، والتسلسل الزمني المنطقي ، وإنما انفتحت الحبكة الروائية على أزمنة عدة تتداخل وتتكاثف وتستغني عن استمرارية الحركة إلى الأمام، من خلال تيار الوعي ومراوحة الزمن" (القصراوي، 2004، ص41)، ومن يدقق

في النصوص الروائية الحديثة، يجدها تتجاوز أسلوب الحبكة المعقدة ذات المدة الزمنية الطويلة، وتتجه إلى أعماق الذات الإنسانية لنبشها وكشفها وتجسيدها في النص "فالزمن هو القصة تتشكل، وهو الإيقاع"(قاسم، 1996، ص61).

ومع تطور الرواية اتجهت الرواية الحديثة إلى الاهتمام بالزمن النفسي، كون البشر يعيشون طبقاً لزمنهم الداخلي الخاص الذي يتميز بإيقاع يختلف عن إيقاع الزمن الخارجي المضبوط بالتواريخ والساعات، وبدأت الوحدات الزمنية الصغيرة غير المحددة تحتل مكانة الوحدات التقليدية العريضة، فأصبحت اللحظة أكثر دلالة وأكبر خطرا من السنة" (القصراوي، 2004، ص54).

يزاحم رواية سيدات القمر زمنان هما: الأول حاضر ينطلق من على متن الطائرة التي يستقلها السارد الثاني للأحداث "عبدالله"، أما الزمن الثاني فهو ماض، تسرده الرواية على لسان شخصياتها في القرية المتخيلة، تعود إلى الثمانينيات من هذا العصر، ليرتد إلى منتصف القرن التاسع عشر في بعض الأحيان. فهذان الزمنان، وإن شكلا قضيتين منفردتين يتمازجان لينصهرا في بوتقة واحدة .

وسنحاول اعتمادا على محوري جينيت مقاربة زمن الخطاب الذي يظهر تميز طريقة الرواية في بناء زمن الحكاية المفترضة، من خلال التحديدات الأساسية التالية..

الزمن: "يُعَدُّ الزمن أحد المباحث الرئيسية المكونة للخطاب الروائي، إذا لم يكن بؤرته، فالأحداث تسير في زمن، والشخصيات تتحرك في زمن، الفعل يقع في زمن، الحرف يُقرأ في زمن، ولا نص دون زمن"(الطعان، 1994، ص445).

وهو الموجود المعنوي الذي يُدرَكُ بالموجودات الحسية، فتغير المحسوسات يوحي بتقدم الزمن، ولولا التغير لما أدركنا الزمن.

وعند الحديث عن الزمن علينا أن نتناول عدة أبعاد، فللزمن أبعاد ثلاثة: زمن وقوع الأحداث، وزمن كتابة الأحداث، وزمن قراءة الأحداث.

والذي يخضع للتحليل عادة زمن الوقوع، أي وقت وقوع الحدث ومدته, ويمكن تقسيمه إلى:

– زمن توقيت الحدث: قد يكون فلكيا: (صباحا، ومساء، والساعة الثامنة...), أو مداريا (شتاء، وصيفا)، أو حَدَثياُ (زمن الاحتلال، وعام النكبة، ويوم النكسة، وعام الفيل...).

– زمن مدة الحدث: أي المدة التي استغرقها الحدث في وقوعه.

وعند دراسة زمن مدة الحدث فمن الجيد أن أورد ما حواه تصنيف جيرار جينيت للزمن في الرواية، فقد ذكر محاور ثلاثة وهي: الترتيب والمدة والتواتر(جينيت، 2003، ص40، وانظر: زورو،2004، ص2).

أما الترتيب فيقتضي مراعاة ارتباط الحدث بما قبله وما بعده وما زامنه، ويتم ذلك ضمن إطار الاسترجاع والاستباق، فيجمع الروائي مع وقت الحضور حاضرًا آخر، أو الماضي، أو المستقبل محاولا إعطاء الحدث بُعدَه الكامل ووصفه الملائم.

والاسترجاع هو ذكر أحداث وقعت سابقا، وقد يكون داخليا يتمثل في الرجوع إلى أحداث ذكرت في الرواية، أو خارجيا يكون بالرجوع إلى أحداث وقعت خارج المتن الروائي.

أما الاستباق فهو ذكر ما لم يحدث بعد، ويكون داخليا بذكر أحداث لها نصيب من الوجود في المتن الروائي بشكل لاحق للحاضر، أو خارجيا مثل ذكر أحداث مستقبلية خارج إطار المتن الروائي.

وعادة يلجأ الروائيون إلى استخدام الاسترجاع أكثر من الاستباق؛ لأنهم بالاسترجاع يربطون الأحداث أو يكملون الوقائع، أما الاستباق فمن شأنه أن يفقد السرد عنصر الإثارة والتشويق, فذكر ما سيكون يُكَوِّنُ صورة عامة في ذهن القارئ عن الأحداث اللاحقة، الأمر الذي يجعل القارئ يعزف عن إكمال القراءة، فطبيعة الإنسان أن يترك قراءة ما يعلمه سابقا، أو يعرض عما يتوقعه لاحقا.

أما الديمومة فهي زمن دوام الحدث، وتتفاوت في الرواية بين لحظات تستغرق عدة صفحات وبين أيام أو شهور لا تأخذ إلا عدة أسطر، وتأخذ الديمومة تقانات أربعة هي: الحذف، والمشهد، والوقفة، والخلاصة (جينيت،2003، 101–122، وانظر: زورو، 2004 ، ص31).

فعندما يترك الروائي أحداثا دون ذكر فهذا هو الحذف، كما نرى في روايتنا ، إذ نجد المؤلفة في الفصل(53)، تذكر حدثا حيويا، إذ تكشف اللثام عن حقيقة موت أم عبدالله، ولكنها لا تذكر معرفة عبدالله بذلك، بل تكتفي بذكر نهاية أمه؛ وذلك لأن التفصيل لا يؤثر في الغاية، بالإضافة إلى قدرة السامع على تصور الأحداث، وإذا كان الأمر كذلك فإن التفصيل يبعث الملل ولا يجعل للقارئ فرصة التفكير وإمكانية لربط الأحداث بالواقع الذي يعيشه ويدركه كل إنسان، فهنا تترك مساحة للمتلقي.

وعندما يعرض الكاتب الحدث مفصلا فإننا نسمي ذلك (بتقانة المشهد)، وكأن القارئ يشاهد الحدث أمامه بكل تفاصيله، ويلجأ الروائيون إلى هذه التقانة عند سرد الأحداث المثيرة للقارئ أو ذات النهايات المؤثرة، إذ يحاول الروائي أن يزيد من وصف الحدث لاعتقاده بأن القارئ سيبقى مشدودا له أثناء القراءة، ويحاول كذلك ألا يجعله أطول من حده اللازم كي لا يتحول المشهد من جذاب إلى عذاب يتمني القارئ الانتقال عنه، فالمشهد المضحك مثلا لو بقي على وتيرة واحدة فإنه يفقدُ حيويته، إذ لا بد من الصعود والهبوط لسحق التأقلم النفسي الناتج عن طول فترة المثير التي تخمد فتيل الانفعال المتصف بقصر مدته غالبا.

ويمكن أن نلمس هذه التقانة في النص في الفصل(12)، إذ تصف الساردة بتفصيل دقيق الجرن الذي تسكنه "مسعودة"، وبيتها والباب الحديدي الصدئ، والحوش الترابي المستطيل الذي ينتهي بصالة ضيقة مفتوحة بعقد نصف دائري وغرفة وحيدة... وتصطف على جدرانها نسخ ورقية مهترئة من صور المسجد الحرام والمسجد النبوي وصورة ملونة مثبتة بخلفية خشبية للبراق... وبجانب الباب المفتوح مرآة بإطار قديم كتب في مثلث أعلاها "سلطنة مسقط وعمان..." (الحارثية، 2010، ص67) فنجد تفصيلا لبيت الشخصية وكأننا عندما نقرأه نراه شاخصا أمامنا.

وعندما يسرد الروائي الأحداث بشكل دقيق يكاد الزمن فيه لا يتقدم فإننا نسمي ذلك بالوقفة، والروائيَّ يلجأ إلى مثل هذا النوع من السرد في المواقف المصيرية ذات التأثير النفسي الكبير، مثل: لحظات الاحتضار، أو لحظات الوداع، أو في المشاهد ذات الطابع الرومانسي بين عاشقين، فإن القارئ مع مثل هذه المشاهد يكون في قمة الانسجام والتفاعل؛ لأنها تداعب عمق المشاعر.

من ذلك مثلا ما نجده في الفصل(45)، إذ تصور الساردة مشهد موت والد "عبدالله"، ولحظات وداعه، وتكفينه، بتفصيل دقيق، "بعد سنوات ستدخل تفاصيل أخرى في هذا المشهد ،سأرى بطن أبي يرتجف قليلاً تحت دلاء الماء البارد..."(الحارثية ، 2010، ص181) المشهد في يوم محدد "في 20 مارس 1986 كانت لندن في الخامسة من عمرها، وكان لسالم سنتان حين وقع أبي في نوبته القلبية الأولى.وفي26 فبراير 1992توفي في مستشفى النهضة ولابني المتوحد محمد سنة واحدة..." (الحارثية ، 2010، ص180) فقد وقعت الحادثة على مدار ست سنوات ولكنها ركزت على هذه المشاهد، مشهد التغسيل، والعزاء...

وعندما يسرد الروائي أياما أو شهورا في أسطر معدودة فليس هذا إلا التلخيص أو الخلاصة، ويبدو لنا أن الفارق بين الحذف والتلخيص يتجسد في أن الحذف لا يذكر شيئا من الأحداث التي يمر عنها إذ تفهم ضمنا، وأما التلخيص فيفضل الروائي توثيق أحداث طويلة بشكل موجَزٍ، ومنجَزٍ لقلة مردودها التأثيري.

وأما التواتر فيتعلق بقضية تكرار بعض الأحداث، والأصل في معنى التواتر التتابع بشرط وجود مهلة بين المتتابعات كما في اللسان، ويأخذ التكرار في الرواية أضرب ثلاثة، فالضرب الأول يتبلور بسرد حدث وقع مرة واحدة عدة مرات، ويلجأ الروائي إليه في الأحداث الجوهرية التي من شأنها أن تثير جدلا وتفاعلا بين شخصيات الرواية أو تعيد الحيوية للحدث عند ذكرها.

أما الضرب الثاني فيمكن تصوره ببساطة فهو ضد الأول إذ يسرد الروائي حدثا وقع عدة مرات مرة واحدة؛ وذاك لأجل التخفيف عن روح القارئ المندفعة صوب متابعة الأحداث، ويبدو ذلك في الأحداث التي لا تعني الشخصيات كثيرا والتي لا تستدعي اهتمام الكاتب لاعتقاده بانعدام أثرها الرجعي على القارئ أو أبطال روايته أو أحداث منظومته. فالرواية لم تذكر إلا خيانة واحدة من خيانات أحمد للندن، من سلسلة مواقف، أدت إلى طلاقهما، لأن هذا التفصيل لا طائل منه.

ويبقى الضرب الأخير لثلاثية التواتر, وهو ثالث الأضرب في مجال التذاكر, تتبَيَّنُ هيئته بسرد متكرر لوقائع متكررة، إذ يذكر الكاتب ما وقع أكثر من مرة عدة مرات، ويستخدم الروائي هذا الضرب إذا رأى أن الحدث لازمُ الذكر ليتم به ترابطُ الأحداث. وهذا يندرج على معظم الوقائع في الرواية نذكر منها:(حادثة العقعق، فهي حدث مؤثر في الشخصية الرئيسة ويظل تأثيره حتى المقطع الأخير، وحادثة موت أم عبدالله، فهي حدث يؤرق الشخصية الرئيسة "عبدالله" والجميع في قرية العوافي، وحادثة اغتصاب حنان وزميلاتها، لما له من تأثير على المجتمع ، وحادثة نجية القمر؛ لأنها فاعلة في الرواية، وحادثة طلاق "خولة"...)

وتطرح "سيدات القمر" صعوبة كبيرة في تحديد زمن حوادثها؛ للتداخل الرهيب بين الزمن الحاضر الذي تنطلق منه الحكاية الذي لا يلبث أن يعود إلى زمن ماض بعيد، وماض أقرب، لذلك نلمس صعوبة في ضبطه بدقه.

فيزاحم الرواية إذن زمنان، الأول حاضر ينطلق من الطائرة التي يستقلها "عبدالله" لتتناثر الأزمنة تباعاً، لتعود للانتظام مجدداً، إذ يبدأ السرد عن حاضره، وأسرته الصغيرة، وزوجته" ميا" ومكان سكنه الحديث "مسقط"، إذ تراوده أطياف الاضطهادات التي مر بها، كما تراوده لحظات حبه لميا وأفكاره عن ابنته ومستقبلها، الذي على الرغم من قسوة والده، وموت أمه مسمومة، وتربيته في حضن مربيته، محظية الأب، إلا أنه كان شخصاً متسامحاً، وطيباً مع زوجته وابنته، ولا يشغل هذا الزمن حيزاً كبيراً؛ فالأحداث الرئيسية للرواية الرئيسة تمت في الزمن الماضي.

أما الزمن الثاني فهو ماض، ينزع إلى انفتاحات ترتد إلى أيام الطفولة الأولى لعبدالله، ومدرسته، والمعلم ممدوح، والأستاذ الإنجليزي،،ليرتد إلى زمن أبعد بكثير يصل إلى قبل 1940من حيث ارتباطه بولادة بعض الشخصيات الفاعلة في الرواية، وقبلها بكثير إلى 1930 فهذان الزمنان، وإن ظهرا منفصلين إلا أنهما يتمازجان، وينسجمان، وينصهران في بوتقة واحدة.

وتستدل الرواية ببعض المؤشرات الزمنية التي يتم تسجيل الأحداث فيها، لكنها تبقى ضبابية.

وإن أهم زمن تاريخي ندرجه في هذا الصدد(حرب الجبل الأخضر)1955–1959 وانتهائها باستسلام الإمام "غالب الهنائي"، وهجرة المعتصمين معه إلى بلدان مجاورة، منهم "شخصية عيسى المهاجر وأولاده إلى مصر.

وهناك إشارة إلى زمن أقدم وهو 25 سبتمبر 1926، إذ كان الاجتماع بجنيف لإبطال الرق وتجريم تجارته. الذي ربطته بحدث بارز في الرواية. وأبعد منه نجد إشارة إلى تاريخ 22– يناير–1908 الذي يُشير إلى تسليم التاجر "هلال" – وهو جد "عبدالله"– نصيبه من السلاح خمسين صندوقاً محملاً بالذخيرة، قادمةً من أوروبا على متن السفينة البخارية جيولدالا، وبيعه "بنادق بو شهار" في ميناء "جوادر" بسعر سبعين دولاراً للبندقية الواحدة، مما أدى إلى إثرائه بشكل سريع. وعام 1845 إذ تشير إلى الاتفاقية الثانية التي يوقعها السيد سعيد بن سلطان مع بريطانيا لحظر تجارة الرقيق. وقبلها 1819إذ أصدر السلطان فيصل إعلاناً دعا فيه العمانيين إلى عدم تصدير الأسلحة إلى ميناء جوادر. وجميعها حوادث مهمة تنسجم وأحداث الرواية الأساسية وشخوصها.

تتكون رواية " سيدات القمر "من سبع وخمسين فصلاً، تنقسم إلى أزمنة متناوبة بين الماضي الذي يمكن أن نقسمه إلى الزمن الأول والزمن الثاني ، و يوغل في بعض الأحيان إلى حقبة بعيدة من التاريخ العماني تصل إلى القرن التاسع عشر، وبدايات

القرن العشرين تحديداً فترة الثلاثينيات، والأربعينيات والزمن الحاضر الذي يصل إلى عهد قريب. ومع أن الراوية تقطع في كل مرة الأحداث عند نقطة معينة؛ لتنتقل إلى سرد أحداث أخرى، فتبدو الرواية ظاهريا غير منسجمة مع الأحداث التي سبقتها، إلا أن القارئ يحس بأن هناك انسجاما داخليا وتلاحما معنويا بين هذه الفصول. هذا الإحساس – مما لا شك فيه – أنه لم يتولد من فراغ، وإنما كان نتيجة لما اعتمده النص من روابط لغوية، وحيل فنية عززت هذا الشعور ، ورسخته

يتعلق السرد في نهاية الفصل بحدث معين دون أن يتمه، وتكون بداية الفصل الذي يليه تتمة لهذا الحدث مع اختلاف الشخصية التي تؤديه، وبهذا يكون الفصل اللاحق وكأنه امتداد ضمني للفصل السابق. وفي روايتنا، نجد هذا النوع من الروابط عبارة عن حيل لجأت إليها الساردة؛ لتنتقل بسلاسة من فصل إلى فصل آخر، دون أن نحس بأن هناك فجوة بينهما .

ففي الزمن الثاني ومع انغماس السارد الثاني "عبدالله" في الحديث عنه، يحكي لنا مختلف الأحداث التي صادفته، من ولادة ابنته، والاختلاف في موضوع تسميتها، الخ... فإنه وفي نهاية هذا الزمن يذكرنا بقسوة والده المرتبط بالزمن الأول، وما كان يقاسيه من تحكم، وفرض سيطرة ، من عدة أقوال: "لا تتكسني في البئر أرجوك لا تتكسني في البئر"(جوخة الحارثية ، 2010، ص19). وقوله في موضع آخر:" ضحكت. ضحكت. كنت أطول ولد في الصف وكانت ظريفة قد شدت دشداشتي من الرقبة حتى كدت أختنق. قال المعلم:" عندك كام يا ولد؟" كنت قد احتفظت بعيديتي ..."(الحارثية ، 2010، ص18).

فهذا التذكير يمكن عده حيلة فنية يلجأ إليها النص؛ لينعش بها ذاكرة القارئ وتنشطها، وتهيئها لانتقال سلس إلى الفصل الموالي، أو الزمن الأول الذي يؤطره فضاء "العوافي" فترة الستينيات والسبعينيات، كما نفهمها من سياق الأحداث.

استعانت الساردة بشخصية رئيسة من شخصيات روايتها، للانتقال من الزمن الحاضر إلى الماضي، وهي حيلة لجأت إليها حتى لا تعتمد على صوت واحد (صوتها وحدها) وهي هنا شخصية "عبدالله" بطل الكثير من الأحداث والمغامرات. ونجدها أيضاً تعمد إلى حيلة أخرى تكون وسيلة لختم الزمن الحاضر، ومؤشراً للانتقال إلى الزمن الماضي بشقيه(الأول والثاني) وهذه الحيلة هي: فضاء الطائرة(نافذة الطائرة)، التي ظلت تُحلق من بداية الرواية إلى نهايتها. "كانت الطائرة تخترق سحباً كثيفة، وعينا عبدالله تجافيان النوم على الرغم من الرحلة الطويلة إلى فرانكفورت، عندما كانت النساء تلد في مستشفى السعادة في مسقط..."(الحارثية ، 2010، ص14).

ومن اللطائف التي احتواها النص، وكانت عاملا فاعلا في تحقيق الانسجام بين الفصول، حسن انتقاء الكلمة واختيارها، أو بتعبير آخر كسر أفق انتظار القارئ؛ فالحدث الذي يُختم به الفصل، يكون هو نفسه ما يُبدأُ به الفصل الذي يليه، ونجد هذا في الزمن الثاني عند الحديث عن رفض "خولة" الزواج من ابن عيسى المهاجر. إذ خُتم الفصل السادس عشر بقولها: "قال لها: لا تخافي يا خولة يصير خير. وخرج من غرفة البنات، عاد إلى الصالة، لم يلتفت إلى أحد. دخل غرفته، توقف المطر، وبقي عزان مسهداً حتى الصباح..."(الحارثية، 2010، ص80)، وبداية الفصل الثامن عشر– حيث راوحت الساردة بفصل سردته بمساعدة راو ثان هو "عبدالله"– إذ تقول:" مجرد أن خرج أبوها من الغرفة سارعت خولة بإقفال الباب مرة أخرى، وقفت تتنهد أمام النافذة، وحين لاحظت هطول المطر جلست باتجاه القبلة..."(الحارثية ، 2010، ص84)، ولا شك أن مثل هذا الاختيار للكلمات، يجعل القارئ يشعر بامتداد الحدث واستمراره بين الفصول.

كما يمكن أن يكون هذا الحدث الذي يُبتدأ به الفصل، هو فاتحة لما سيتحدث عنه، وهو الطريق للانتقال من الزمن الحاضر إلى الماضي." هذه السحب كثيفة، تروقني فكرة العلو والتخلص من الجاذبية ، هكذا أراقب الغيوم من عل، وأتذكر اندهاشي حين اكتشفت للمرة الأولى أنها ليست سميكة كفاية لتحتمل ثقلي، انفجر أستاذ ممدوح من الضحك: لما حتكبر إيه؟ تكبر وتطير وتجلس فوق الغيم؟ الغيم ده زي البخار يا عبيط.. هوا يعني... هوا..." (الحارثية ، 2010، ص53)، ونجد في موضع آخر...

"شكراً لك أيتها المضيفة المتألقة، كعكة البرتقال لذيذة جداً، وإن كنت أفضل الحلوى العمانية على كل ما تنعتونه بالحلوى أو "السويت" كما تقول لندن، في المواسم، أو حين يمتلئ بيت أبي الكبير بالضيوف كنت ألف قطعة كبيرة من الحلوى..." (الحارثية، 2010، ص61).

هذا الاختيار للكلمات بما يكسر انتظار القارئ، نجده يتقاطع على نحو كبير مع ما يسميه السيوطي في كتابه "تناسق الذرر في تناسب السور(بتشابه الأطراف)، (السيوطي، ،1406 –1986،ص76–77، عبد الكريم، 2008، ص115), وهو مظهر من مظاهر الترابط الدلالي بين سورة وأخرى، وهو في روايتنا حقق نوعا من الانسجام بين الفصل و الفصل الذي يليه.

وقد يؤجل الكاتب السرد في مواضع أخرى في نهاية الفصل بحدث معين دون أن يتمه، وتكون بداية الفصل الذي يليه تتمة لهذا الحدث مع اختلاف الشخصية التي تقوم به على نحو ما نجد في الزمن الأول: "لا أعرف... كيف لي أن أعرف؟" (الحارثية ، 2010، ص161)، هذه هي النقطة الأولى في الوصول إلى حقيقة موت "أم عبدالله" ،إلا أن السرد ينقطع هنا، في الفصل التاسع والثلاثين(39) ، ويبقى القارئ مشدوداً في حالة ترقب وحيرة وتساؤل: من قتل أم عبدالله؟ أو كيف ماتت؟ لتسكت ظريفة في قولها منهية الفصل الخمسين(50) "وسكتت ظريفة" (الحارثية ، 2010، ص199)، ويظل القارئ مشدوداً للنهاية المرتقبة. إلا أن هذا التساؤل يصبح محور اهتمام بداية الزمن الثاني ، ولكن ليس مع عبدالله ولندن، وإنما مع شخصية "مسعودة"، وذلك من الحوار الذي دار بين التاجر سليمان وأخته من مدة طويلة، والذي استعادته "مسعودة" بوضوح، وهي تستعد للاحتطاب. إذ بينت بوضوح "حقيقة موت أم عبدالله" "وكانت مسعودة قد مسحت هذا الفجر المعتم من عقلها بكل قوة" (الحارثية ، 2010، ص207)

وهذا التشابه على مستوى الأحداث، مؤشر على أن الهدف واحد بالنسبة لعبدالله ولندن، ظريفة، ومسعودة ، فجميعهم يبحث عن حقيقة مغيبة، وهذا ما يجعل الزمن الأول، والثاني أشد ارتباطا وانسجاما بعضها ببعض ، وقد وفق النص في ربطهما من خلال تكامل الأحداث وتآزرها.

واختتم الفصل التاسع عشر بقولها على لسان "عبدالله":" حين كررتُ لميا: "قلت لك ولدك هذا لن يفلح"، اعتذرت عنه، قالت إن الامتحانات انتهت، وكل زملائه يسهرون، قالت إنه لم يعد ولداً..." (الحارثية ، 2010، ص92) إذ تعتذر "ميا" هنا عن خطأ ابنها "سالم"، وتبرر سبب تأخره. نجد الساردة تستكمل هذه الحادثة في الفصل التاسع والعشرين بقولها: " بعدما ضربت سالماً فاجأني الإحساس المرعب بأني أصبحت أشبه أبي..." (الحارثية ، 2010، ص122) مما يُدلل على أن "عبدالله" أصبح شبيهاً لوالده في قسوته.

بنية الزمن في رواية "سيدات القمر

يعد الزمن أحد المباحث الرئيسة المكونة للخطاب الروائي، إذا لم يكن بؤرته، فالأحداث تسير في زمن، والشخصيات تتحرك في زمن، الفعل يقع في زمن، الحرف يُكتب في زمن، ولا نص دون زمن" (الطعان، 1994،ص445)

لذلك فأي قص روائي يملك زمنين هما زمن القصة ذاتها، بوصفها تسلسلاً يبين أحداثها، وزمن خطابها، ويُعنى بترتيب تلك الحوادث وفق نمط معين.

فإذا ما أردنا معرفة طريقة بناء ذلك الزمن فسنذهب إليه من تتبع طريقة جينيت في تحليل رواية "سيدات القمر" بواسطة محورين هما الترتيب الزمني والمدة.

بناء الزمن في رواية "سيدات القمر"

زمن القصة

لا تخلو رواية "سيدات القمر" من التداخل بين الحاضر والماضي، فهي تجمع بين أحداث متخيلة في الحاضر، وزمن بعيد يستحيل ضبطه بدقة؛ فالرواية كما أشرنا يزاحمها زمنان: الأول حاضر ينطلق من على متن الطائرة التي يستقلها السارد الثاني للأحداث "عبدالله" الذي استطاع أخيراً السفر والتنقل والدراسة بعد وفاة والده، ويقص أحداثاً تدور حول فلكه هو ومحيطه الذي عايشه في فترة الطفولة والمراهقة والشباب، يحدوه أمل في نكران وتجاوز كل ما يذكره بماضيه الأليم، من فقد والدته صغيراً، وقسوة والده وجبروته. ينزع إلى انفتاحات ترتد إلى أيام الطفولة الأولى مع زيد وسنجر، ليشمل حياته الخاصة مع زوجته "ميا" وابنته "لندن" وأولاده "محمد وسالم" وما تلا ذلك من فقد والده، إلى ما يداخل حياته من تفصيلات صغيرة .أما الزمن الثاني فهو ماض، تسرده الرواية على لسان شخصياتها في القرية المتخيلة، وتعود إلى الثمانينيات من هذا العصر، ليرتد إلى بداية القرن التاسع عشر في بعض الأحيان.

فهذان الزمنان، وإن شكلا قضيتين منفردتين يتمازجان لينصهرا في بوتقة واحدة، وتستدل القصة ببعض المؤشرات الزمنية التي يتم تسجيل الأحداث خلالها، لكنها تبقى ذات صيغة ضبابية، إذ لا تسمح لنا بضبط زمنها بدقة.

إن أهم زمن تاريخي ندرجه في هذا الصدد هو(حرب الجبل الأخضر 1955–1959) فهذه السنوات شهدت تحالف القبائل مع الإمام "غالب الهنائي" ضد الإنجليز والحكومة التي تدعمه، من خلال شخصية "معاذ" الذي فر من قلعة عمه الشيخ "سعيد" وهو لما يكمل السادسة عشرة من عمره بعد، فتبرأ منه ومن انتمائه.

وقد وظف العديد من الأدباء هذه الأحداث في أدبهم، نذكر منها: رواية(ملائكة الجبل الأخضر) لعبدالله الطائي ... في هذا الوقت داس "معاذ" على قنبلة صغيرة وهو عائد من مهمته، ففجرته إلى شظايا وضمته إلى أكثر من ألفي شهيد، قُتلوا في حرب الجبل الأخضر، ولم يبق من جثمانه شيء ليرجع إلى أمه... ويشكل هذا التاريخ أهمية كبيرة في التاريخ العماني، وفي ارتباط بعض أحداث الرواية به سبب ، حين تدفعنا الرواية إلى التمعن في فترة زمنية مهمة، أغفلتها كتب التاريخ من خلال النهاية المأساوية التي حدثت لمعاذ، الذي كان يناضل من أجل مبادئه.

تشير الحكاية أيضاً إلى سنة مغادرة (عيسى المهاجر وعائلته) عُمان 1959إلى مصر إثر استسلامهم:" "عيسى المهاجر حمل أرواحهم ... ولما انهزموا وتفرقوا هاجر بجسده فقط، وبقيت روحه ..." (الحارثية، 2010، ص192).

وقد ربطت الرواية هذه الأحداث بالغربة القسرية والحنين التي باتت تعيشها أكثر من ألفي أسرة عُمانية أُخرجت من بلادها عنوة، لتتأجج الذكريات هنا وتنفتح على ماض بعيد استعادته ذاكرة عيسى المهاجر، وهذا يفسر انسياب مخزون الذاكرة لديه للتخفيف والتقصير من وقع تلك الساعات والأيام والسنين الباردة التي قضاها في غربته، يحن فيها إلى عودة مرتقبة إلى وطنه الغالي، التي لا يدفئها غير هذا الانسياب لهذه الذكريات العالقة في الذاكرة من الماضي البعيد.

ونحاول فيما يلي وضع جدول يضم تسلسل حوادث الحكاية المفترضة، وسنزاوج بين الزمن الحاضر والماضي بشقيه، مستدلين ببعض ما توحي به الرواية من مؤشرات زمنية تقدم حدثاً على آخر أو تأخره.

الحدث	مضمون الحدث	المؤشر الزمني	الصفحة
1	ولادة سنجور (الجد) في إحدى القرى الصغيرة بكينيا/توقيع السيد سعيد بن سلطان مع بريطانيا الاتفاقية الثانية لحظر تجارة الرقيق	1845	172
2	أسر سنجور من قبل القناصة /رحلتهم إلى عُمان	الفترة نفسها_ (لم يكمل سنجور العشرين من عمره)	173-172
3	شراؤه من قبل شيخ من شيوخ العوافي/ زواجه/موته بالسل وبناته/ بقاء الصبي وزواجه/إنجابه لصبيان وبنت واحدة(عنكبوتة)/ يصبح قاطع طريق واختفاؤه/ عنكبوتة تتزوج في بيت الشيخ سعيد.	الفترة نفسها _ وقد تولي الشيخ سعيد المشيخة ولما يكمل (16) من عمره	175-174
4	تراجع تجارة التمور في عمان/ قصة التاجر هلال	ق(19)	203
5	إصدار السلطان فيصل إعلانا دعا فيه إلى عدم تصدير الأسلحة إلى ميناء جوادر/ تزايد اهتمام التاجر هلال بتجارة السلاح	1891	203
6	وصول السفينة التجارية "جيولدالا" إلى ميناء مسقط قادمة من أوروبا / نصيب التاجر هلال منها خمسين صندوقاً /إثرائه السريع/ مصاهرته لأحد شيوخ العوافي	22يناير 1908	203
7	ولادة سليمان ابن التاجر هلال	بعد مضي أكثر من عشر سنوات على زواجه.	204
8	سليمان يرث تجارة والده هلال ويعمل في تجارة الرقيق	بعدها بفترة بسيطة	205
9	معاهدة السيب بتقسيم عمان إلى عمان الداخل وتحكمها الإمامة ومسقط وبعض المناطة الساحلية التابعة لها يحكمها السلطان المدعوم من الإنجليز	1920	131
10	حادثة رفض عنكبوتة لزوجها	الفترة نفسها قبل الثلاثينيات_ قبل أن تبلغ (15) من عمرها	60
11	ولادة عنكبوتة لظريفة في الصحراء/ المجتمعون في جنيف يوقعون على الاتفاقية الخاصة بالرق وتحريم تجارته.(عنكبوتة أكملت15 سنة)	25سبتمبر 1926	124
12	تسمية المولودة" ظريفة" من قبل الشيخ سعيد	العام والشهر نفسه(بعد أسبوع)	125
13	بيعها للتاجر سليمان /تصبح محظيته ومربية وحيده	بعد16 سنة	125
14	حكاية الشيخ مسعود ومحاولاته الأولى لتأسيس مدرسة عصرية ودحضها (جد أسماء)	قبل الثمانينيات بكثير	147-146
15	قصة استعباد حبيب من بلوشستان	قبل الثمانينيات بكثير	112-111
16	ولادة ظريفة لسنجر الصعبة	قبل الثمانينيات بكثير	171
17	استكمال قصة معاناة سالمة في قلعة عمها/ الجوع/ قصة أمها والحلق	قبل الثمانينيات بكثير(سالمة بلغت العاشرة)	149-145
18	حرب الجبل الأخضر/مقتل معاذ	1959-1955	131-130
19	مأساة عيسى المهاجر وعائلته	تبدأ من 1959 –إلى الثمانينيات	196-190
20	قصة تسمية سالمة بعروس الفلج	قبل الثمانينيات بكثير_ سالمة لها (13) سنة	157

21	مسعودة تحكي سبب حادثة موت أم عبدالله	قبل الثمانينيات (عبدالله لم يكمل شهرا)	206
22	السؤال الذي كان يبغضه عبدالله من زوجة عمه	قبل الثمانينيات بكثير، عبدالله صغير	83-82
23	سنة الخرسة	قبل الثمانينيات ،عبدالله صغير.	65-62
24	إعجاب عبدالله بسوق عبري	قبل الثمانينيات (عبدالله صغير)	126-125-124
25	حادثة العقعق	قبل الثمانينيات بكثير، عبدالله صغير	32 151-150
26	قسوة والد عبدالله عليه وضربه	قبل الثمانينات	91-90
27	ميا تذكر قصة أخيها أحمد	(قبل الثمانينيات)هي في (10) وهو يصغرها بسنتين	51
28	قصة كفاح نجية القمر /للبقاء/ مع أخيها	قبل الثمانينيات	38
29	ملاحقة شنة لعبدالله	(قبل الثمانينيات) لم يكمل (14) من عمره	44
30	تذكر خولة لذكرياتها مع ناصر	قبل الثمانينيات (ناصر(12)سنة، وخولة لم تتعد التاسعة(9)	87-86-85
31	قصة مروان الطاهر/انتحاره_(مروان في (13) سرق)،(في16صام ما مجموعه ثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً ...)	قبل الثمانينيات	201-200
32	موت منين بطلق ناري في رأسه	الثمانينيات	65
33	قصة العصا ولقاء عبدالله بميا ،وانبهاره بجمالها	(الثمانينيات)عمر عبدالله (19)	43
34	قصة خطبة ميا/ إخفاق حلمها بالزواج بعلي بن خلف/ ماكينة الخياطة/ زواجها/حملها/ ولادتها بلندن.	الثمانينيات	13-8
35	سالمة تصبح جدة/ استعدادها التام لاستقبال زوار ابنتها للتهنئة.	الثمانينيات (سالمة في أول الأربعين من العمر)	20
36	زيارة ظريفة لسالمة وابنتها ميا للتهنئة	الثمانينيات (ظريفة في الخمسين من العمر)	22
37	ظريفة والجنية بقيعوه	الثمانينيات	59-58
38	تعنيف زوجة عم عبدالله على تسميته ابنته لندن/موت عمه	الثمانينيات	14
39	رفض والد عبدالله سفر عبدالله للخارج أو الانتقال إلى مسقط	الثمانينيات	16
40	قصة زوجة عم عبدالله/اصرارها على الانتقال إلى مسقط/ رفض حمل جثمان الطاهر إلى مقبرة العوافي	الثمانينيات	81
41	العلاقة الحرة بين القمر وعزان	الثمانينيات	79-78-38 154-153
42	تذكر سالمة لحياتها في قلعة عمها وبؤسها وجوعها	الثمانينيات	100-99
43	لجوء سالمة للعراف	الثمانينيات	106
44	الساحر يقطع علاقة عزان بالقمر	الثمانينيات	183-182
45	رفض ظريفة سفر ابنها سنجر /محاولات لمنعه	الثمانينيات	95-94-93-92

46	قصة منين وابنه زيد	الثمانينيات	64-63
47	جنون مسعودة	الثمانينيات	96
48	خطبة ابني عيسى المهاجر لبنات عزان	الثمانينيات	77
49	قصة الأساور الذهبية وزوجة القاضي يوسف	قبل الثمانينيات، زوجة القاضي (لم تتجاوز 14 من العمر)	120-119
50	عرس أسماء	الثمانينيات	144-143-140 157-156-155
51	زواج خولة/حياتهما معا/معاناتها	الثمانينيات(انتظرت خمس سنوات أخرى)	186-184
52	نهاية القمر	الثمانينيات	189
53	لندن في الخامسة من عمرها/ سالم سنتان	20مارس 1986	180
54	اصطحاب ميا لابنتها لندن إلى مكتبة العائلة	لندن في العاشرة (التسعينيات)	187
55	وفاة والد عبدالله في مستشفى النهضة /بلوغ محمد سنة واحدة	26 فبراير 1992	180
56	انتساب عبدالله لجامعة بيروت وسفره لأداء الامتحانات وتخرجه بكالوريوس إدارة أعمال	بعد وفاة والده بأسبوع(التسعينيات)	54
57	انتقال عبدالله وعائلته للسكن في مسقط	بعد عشر سنوات من زواجه(التسعينيات)	54
58	حادثة الاعتداء على حنان وزميلاتها المعلمات في صلالة	بعد الألفيات	15
59	رفض أهل حنان تقديم دعوى ضد المغتصبين خوفاً من الفضيحة	بعد الألفيات	55
60	تساؤلات عبدالله عن سبب موت والدته	بعد الألفيات	30
61	طلاق خولة وافتتاحها صالون تجميل	بعد الألفيات	31
62	طلاق خولة	بعد الألفيات(فايز أصغر أولادها في الثانوية	221-218
63	سكوت الأهالي على حادثة الاغتصاب /انهيار حنان نفسياً في المستشفى وملازمة لندن لها	بعد الألفيات	31
64	قصة الفتى الشاذ وسالم	بعد الألفيات	123-122
65	ضرب عبدالله لابنه سالماً	بعد الألفيات	91
66	كسر هاتف لندن	(بعد الألفيات)بعد 23 سنة وجدها في ستينياته	52
67	قصة إعجاب لندن بأحمد/الخطبة/الخيانة/الترك	الألفيات	117-210
68	طلاق لندن من أحمد	بعد الألفيات	55
69	زواج زيد من ابنة حفيظة الثانية	بعد الألفيات	126

نلاحظ –كما هو واضح في الجدول– استحالة ضبط حوادث القصة المختلفة، نتيجة التداخل الشديد بين الحاضر، والماضي، فالحاضر و إن استطعنا تحديد وقته (بداية القرن الحادي و العشرون ...) . فإنه يستحيل تحديد زمن الماضي الذي يرتد إلى سنوات عديدة قبلها تصل إلى القرن التاسع عشر، ولا يمكن بالضبط التكهن بزمن وقوعها لانعدام مؤشرات تدل

على ذلك – إلا فيما ندر– ولنا أن نوجز ما ذكرناه سابقا في الشكل التالي الذي يلحق محطات القص المفترضة المشار إليها بتحديدات زمنية واضحة:

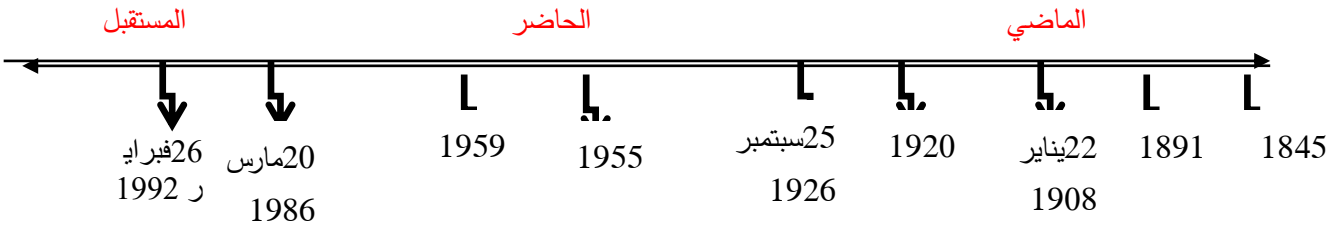

فيما سبق لم نستطع تحديد الإطار الزمني الذي تدور فيه الأحداث إلا بالتركيز على السنوات البارزة صراحة، ويمكن التكهن بها بواسطة مؤشرات زمنية معينة .

وبالرجوع إلى تاريخ إصدار الرواية يمكن القول إن نقطة ارتكاز السرد، التي يمثلها حاضر بطل الرواية قد تكون (بعد الألفيات) بقليل من القرن الحادي والعشرين، باعتبار أن آخر ما أشارت إليه الكاتبة كان أحداثاً في بداية (الألفيات)؛ وعلى هذا الأساس فإن أحداث الرواية تستغرق ما يناهز ثلاثة قرون؛ إذ تعود إلى (1845) منتصف القرن التاسع عشر، وأحداث القرن العشرين لتصل إلى أوائل القرن الحادي والعشرين؛ فهي –إذن– رواية أجيال.

الترتيب: إن الزمن تفكك في هذه الرواية إلى وحدات، يتأرجح فيها بين الماضي و الحاضر ولم يسر كما سارت الرواية التقليدية وفق ترتيب زمني موضوعي باعتماد التطور التدريجي للأحداث، ونكاد نراه لا يخضع لمنطق معين .

وحتى نصل لدراسة الترتيب في الرواية لابد من مقارنة نظام ترتيب الأحداث حسب الزمن في الخطاب السردي بنظامها في القصة أو الحكاية، ومن إشارات روائية صريحة أو ضمنية .

وعند تتبعنا لزمن الخطاب في رواية "سيدات القمر" تواجهنا صعوبة في تحديد الزمن الدقيق نظراً للتداخل الشديد بين زمن الحاضر والماضي الذي يرتد إلى لحظات الماضي القريب والبعيد أحياناً.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، نبيلة (1994) ، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب، القاهرة.
- باشلار، غاستون (1992)، جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد خليل، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.
- بدوي، عبد الرحمن (1971) ، شروح على أرسطو، دار الشروق، بيروت.
- توفيق، إيميل (1982)، الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، ط1، دار الشروق، القاهرة،.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ب. ت)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،ط4، دار العلم للملايين، بيروت.
- جينيت، جيرار (2003)، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، ط3، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- الحارثية، جوخة (2010)، سيدات القمر، دار الآداب، بيروت.

- الحر، محمد كامل (1991) ، ابن سينا حياته وآثاره وفلسفته، دار الكتب العلمية، بيروت.
- دولوز، جيل (1993) ، البرغسونية، ترجمة أسامة الحاج، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- ريكور، بول (2006)، الزمان والسرد (الحبكة والسرد التاريخي)، ترجمة سعيد الغانمي، وفلاح رحيم، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (1421هـ/2001م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، راجعه الدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور ضاحي عبد الباقي، والدكتور خالد عبد الكريم جمعة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت.
- زورو، نصيرة (2004)، بنية الزمن في رواية" شرفات بحر الشمال"، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين (1406 –1986)، تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الصديقي، عبد اللطيف (1995) ، الزمان أبعاده وبنيته، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- صليبا، جميل (1982)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت،.
- الطعان، صبحي (1994)، بنية النص الكبرى، مجلة عالم الفكر، ج23–الكويت.
- عبد الكريم، أشرف عبد البديع (2008)، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة.
- العيد، يمنى(1983)، في معرفة النص، ط1، دار الأفق الجديدة، بيروت.
- ابن فارس، أحمد (1979)، مقاييس اللغة، الجزء الثالث، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ، و أبو العباس، الحموي، (ب. ت)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
- قاسم سيزا (1996)، بناء الرواية،،ط1، الهيئة المصرية للكتاب، الدار البيضاء.
- قسوم، عبد الرزاق (1985)، مفهوم مشكلة الزمان في فلسفة ابن رشد، مؤتمر ابن رشد في الذكرى المئوية الثامنة لوفاته، المؤسسة الوطنية، الجزائر.
- القصراوي، مها حسن (2004)، الزمن في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- كونزمان، بيتر، وبوكارد، فرانز بيتر ، وفيدمان، فرانز ، وفايس أكسل، (2007)، أطلس الفلسفة، ترجمة د. جورج كثورة، ط2، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان.
- معزوز، عبد العالي (2008) ، مشكلة الزمن، مجلة بصمات، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، العدد الثالث.
- مندولا، أ.أ (1997)، الزمن والرواية، ترجمة بكر عباس، وإحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- نصري، هاني يحي (2002) ، دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- هوكنغ، ستيفن (1990)، موجز تاريخ الزمن، ترجمة باسل محمد الحديثي، دار المأمون، بغداد.